السنة السابعة والأربعون بعد المئتين

فيها قُتِل المتوكل، ووليَ ابنه محمد المنتصر [بعده].

الباب الحادي عشر في خلافته[١]

هو محمد بن جعفر المتوكِّل

[ابن محمد المعتصم بن هارون الرشيد، واختلفوا في كنيته، فقال الطبري:][٢] أبو جعفر[٣]، [وقال الحلمي:][٤] أبو عبد الله، وقيل: أبو العباس.

[واختلفوا في مولده على قولين؛ أحدهما] بسامرَّاء في ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين ومئتين، وقيل: في سنة أربع وعشرين[٥].

وأمُّه أمُّ ولدٍ روميَّة، اسمُها حَبشيَّة.

[ذكر صفته:]

وكان أعينَ أقنى ربعة، وقيل: قصيراً، ضخم الهامة[٦]، عظيمَ البطن، جسيماً، مليحَ الوجه، مهيباً، على عينه اليمنى أثر، وكانَ قد وقعَ وهو صغير، فأصابَه ذلك[٧].

وبويع[٨] يومَ الأربعاء لأربعٍ خلونَ من شوَّال بالجعفريَّة، وكان قد بُويع في الليلة التي قُتِلَ فيها أبوه، فلمَّا كان صباح الأربعاء شاع قتلُ المتوكِّل بين القوَّاد والجند، فاجتمعوا وتكلَّموا في أمر البيعة، فخرجَ إليهم بعضُ أصحاب المنتصر، [فأبلغهم عن

---

(١) في (ب): ذكر خلافته.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب). ومكانها في (خ) و(ف): وكنيته.

(٣) تاريخ الطبري ٩/ ٢٣٤.

(٤) كذا في (ب)، ولم أتبينه. وفي (ح) و(ف): وقيل.

(٥) قوله: وقيل في سنة أربع وعشرين. ليس في (ب)، ولم أقف على هذا القول، وفي المنتظم ١١/ ٣٥٣ أن عمره حين ولي الخلافة أربع وعشرون سنة. وهو أحد الأقوال. فلعله انتقال بصر، والله أعلم.

(٦) في (خ) و(ف): القامة. والمثبت وما سلف بين حاصرتين من (ب).

(٧) كذا في (ب) و(خ) و(ف)، وفي تاريخ بغداد ٢/ ٤٨٥: على عينه اليمنى أثر وَقْعٍ أصابه وهو صغير.

(٨) من هنا ... إلى قوله: فصل وقال المسعودي .. ليس في (ب).

المنتصر ما يحبُّون، فأسمعوه، فدخلَ إلى المنتصر فأبلغه، فخرج][1] وبين يديه جماعةٌ من المغاربة، وحملَ عليهم وصاح: يا كلاب، خذوهم، فانهزموا، ومات في الزحام منهم جماعة، ثمَّ بايع الناس.

وأوَّل من دخل عليه جعفرُ بن سليمان وهو قاضي القضاة، فقال له المنتصر: بايع، فقال: وأينَ أمير المؤمنين؟ فقال: قتلَه الفتحُ بن خاقان، قال: وما فُعِلَ بالفتح؟ قال: قتله بغا، قال: فأنتَ وليُّ الدم وصاحب الثأر، ثم بايعه.

وحضر الوزير عبيد الله بن [يحيى بن] خاقان فبايع، ثم نفاه المنتصر بعد ذلك إلى بغداد، وسبب نفيه أن عبيد الله والفتح صحَّ عندهما أنَّ المنتصرَ يريدُ قتل أبيه، فرتَّبا له من يقتلُه إذا خرج من داره، فلم يخرج حتى قُتِل المتوكِّل، فلمّا ولي المنتصر نفى عبيد الله إلى بغداد، وكتبَ إلى محمد بن عبد الله بن طاهر بحبسه والاحتراز عليه، ثمَّ نفاه بعد ذلك إلى مكَّة، وسنذكرُه إن شاء الله تعالى.

وأقام المنتصرُ بالجعفريَّةِ عشرةَ أيام، ثمَّ انتقلَ إلى سامرَّاء بعياله وأهله، فصالح المنتصرُ إخوتَه وأخواته من ميراثهم على أربعة آلاف ألف درهم[2].

قال الصوليُّ: لمَّا حضروا للبيعة لم يبق خاصٌّ ولا عامٌّ إلَّا وجاء، فقرأ عليهم أحمد ابن الخصيب كتاباً من المنتصر مضمونه أنَّ الفتحَ بن خاقان قتلَ المتوكِّلَ غيلةً، فقتله به.

وأحضرَ المنتصرُ إخوتَه المعتز والمؤيّد، وعزَّاهما في أبيهما، وقال: شرق بالكأس فمات، وكتب كتاباً إلى بغداد بالبيعة، فبويعَ بعد بيعته بسامرَّاء يومَ السبت لسبعٍ خلون من شوال.

وقال عليُّ بن يحيى المُنَجِّم: جلسَ المنتصرُ بعد قتل أبيه في مجلسٍ فيه بساطٌ كبير، فيه دائرةٌ فيها مثال فرس، وعليه فارس راكب، وعلى رأسه تاج، وحول الدائرة كتابةٌ بالفارسية، وكان الندماء حولَ المنتصر، وعلى رأسه الموالي والقوَّاد، فنظرَ إلى تلك

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٩/ ٢٣٩ ، والمنتظم ١١/ ٣٥٤ .

(٢) في المنتظم ١١/ ٣٥٤ : أربعة عشر ألف ألف درهم.

الدائرة والكتابة التي حولَها، فسأل بغا عن الكتابة، فقال: ما أدري ما هي، فقال لمن حضر من الندماء: اقرؤوها، فلم يتجاسر أحدٌ عليها، فقال المنتصر لوصيف: أحضر لي من يقرأ هذه الكتابة، فأحضر رجلاً فارسيّاً، فقرأها، فغضب، فقال له المنتصر: ما هي؟ فقال: يا أمير المؤمنين، بعضُ حماقات الفرس، قال: أخبرني، قال: ما له معنى، فألحَّ عليه وغضب وقال: لا بدَّ، فقال: يقولُ شيرويه بن كسرى بن هرمز: قَتَلْتُ أبي، فلم أمتَّع بالملكِ إلَّا ستةَ أشهر، فتغيَّر وجهُ المنتصر، وقام مُغْضَباً إلى النساء، وتفرَّقَ القومُ، فلم يملك إلَّا ستةَ أشهر[١].

وقال محمد بن سهل الكاتب: قُتِل المتوكِّلُ على البساط، وكان ملوَّثاً بدمه، وقال المنتصر[٢]: أحرقوه، ويحك يا بغا ويا وصيف، أما كان في الدنيا غير هذا البساط، فأحرقوه[٣].

[فصل:]وقال المسعوديُّ[٤]: اسم [هذا] المكان الذي قُتِلَ فيه المتوكِّل الماحوزة[٥]، وفيه قَتلَ شيرويه أباه كسرى، ولمَّا انتقلَ المنتصر إلى سامرَّاء أمرَ بخراب القصر الذي بناه أبوه، ويسمى الجعفريّ، وكان المتوكِّلُ قد غرمَ عليه أموالاً عظيمةً.

وفيها أخرج المنتصرُ عليَّ بن المعتصم من سامرَّاء، ونفاه إلى بغداد، ووكَّل به من يحفظُه.

وبعدَ البيعةِ بيوم ولَّى المنتصرُ المظالمَ أبا عمرةَ أحمد بن سعيد مولى بني هاشم، فقال الشاعر: [من السريع]

يا ضيعةَ الإسلام لمَّا وَلي ... مظالمَ الناس أبو عمرهْ
صُيِّر مأموناً على أُمَّةٍ ... وليسَ مأموناً على بعرهْ

(١) تاريخ بغداد ٢/ ٤٨٥-٤٨٦، والمنتظم ١١/ ٣٥٤-٣٥٥.
(٢) في مروج الذهب ٧/ ٢٩٣ أن الذي أمر بإحراق البساط وصيف وبغا.
(٣) من قوله في بداية الكلام عن خلافة المنتصر: وبويع يوم الأربعاء لأربع خلون... إلى هنا ليس في (ب).
(٤) في مروج الذهب ٧/ ٢٩٠.
(٥) في (خ) و(ف): الماحوز. وفي (ب): الماجور. وفي مروج الذهب والكامل ٧/ ١٠٥: الماخورة. والمثبت من تاريخ الطبري ٩/ ٢٣٩. وانظر معجم البلدان ٢/ ١٤٣.

وحج بالناس محمد بن سليمان الزينبيّ[١].

وفيها توفي

أحمد بن خالد

أبو العباس[٢] البغداديُّ، الفقيه الفاضل، سمع الإمام الشافعيَّ رحمة الله عليه، وسفيان بن عيينة، ويزيد بن هارون، وغيرهم، وكان صدوقاً ثقةً[٣].

[فصل:]

جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن الرشيد

[ذكر طرف من أخباره:]

ولد سنة سبع ومئتين، وقيل: سنة خمس ومئتين، [و] ولي الخلافةَ سنة اثنتين وثلاثين ومئتين، وكان شجاعاً جواداً يقظاً، أحيا السنَّةَ، وأماتَ البدعة.

و[قال الصوليُّ:] كانت أيامه سروراً لا ضرَّ فيها، لولا انحرافه عن أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام[٤]، [وهدمه لمشهد الحسين وحرثه، وأباد العلويين، وشتَّتهم في الدنيا، وأتلف منهم خلقاً كثيراً، وكان إذا ذمَّ شاعرٌ عليًّا عليه السلام أعطاه مئة ألف درهم.

وقال أحمد بن الخصيب: إنَّ المنتصرَ ما قتل أباه حتى استفتى الفقهاءَ في قتله، فأفتوه بذلك. قال: وكان يسبُّ عليًّا في المحافل ومجالس الشرب، وأضف إلى ذلك إقدامه على سفك الدماء واستحلال أموال الناس بالمصادرات.

وكان أهل البيت في أيامه في محنةٍ عظيمة؛ قطع أرزاقهم، وهدم منازلهم ومشاهدهم، ونفاهم إلى الأقطار][٥].

---

(١) تاريخ الطبري ٩/ ٢٣٩، ومن قوله: وكان المتوكل قد غرم عليه . . . إلى هنا ليس في (ب).

(٢) كنيته كما في تهذيب الكمال ١/ ٣٠١، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٥٣١، وتاريخ الإسلام ٥/ ٩٩٨، وطبقات الشافعية الكبرى ٢/ ٥، وتهذيب التهذيب ١/ ٢١: أبو جعفر. ولم أقف على من كناه بأبي العباس.

(٣) انظر ترجمته بالإضافة إلى المصادر المذكورة في تاريخ بغداد ٥/ ٢٠٦، وطبقات الحنابلة ١/ ٤٢. وهذه الترجمة ليست في (ب).

(٤) قال الذهبي في تاريخ الإسلام ٥/ ١٠٩٩: ولم يصح عنه النصب.

(٥) ما بين حاصرتين من (ب).

دخل مروان بن أبي الجنوب عليه فأنشده قصيدته التي يقول فيها : [من الطويل]

سلامٌ على جُمْلٍ وهيهاتَ من جُمْلِ ... ويا حبَّذا جُمْلٌ وإن صرمَتْ حبلِي
أبوكم عليٌّ كان أفضلَ منكم ... أباه ذوُو الشورى وكانوا ذَوِي عدلِ
وساءَ رسولَ الله إذ ساءَ بنتَه ... بخطبتِه بنتَ اللعين أبي جهلِ
أراد على بنتِ النبيِّ تزوُّجاً ... ببنتِ عدوِّ الله يالَكَ من فعلِ
فذمَّ رسول الله صهرَ أبيكُم ... على منبر بالمنطق الصادق الفصل
وحكَّم فيها حاكمين أبوكُمُ ... هما خلعاهُ حذوَ ذي النعلِ بالنعلِ[1]
وقد باعَها من بعده الحسنُ ابنُه ... فقد أبطلَا دعواكما الرثَّةَ الحبلِ
وخلَّيتموها وهي في غير[2] أهلها ... وطالبتموها حين صارتْ إلى أهلِ

فأعطاه مئة ألف درهم.

وقال في المعنى : [من مجزوء الكامل]

لكمُ تراثُ محمدٍ ... وبعدلكم تُنْفَى الظُّلَامهْ
يرجو التُّراثَ بنو البنا ... تِ ومالهم فيه قُلَامَهْ
والصهرُ ليس بوارثٍ ... والبنتُ لا ترثُ الإمامَهْ
ما للذين تَنحَّلُوا ... ميراثَكم إلَّا الندامَهْ
أخذَ الوراثةَ أهلُها ... فعلامَ لومُكم علامَهْ
لو كان حقُّكُم لها ... قامتْ على القومِ القيامَهْ
ليس التراثُ لغيركم ... لا والإلهِ ولا كرامهْ
أصبحتُ بين محبِّكم ... والمبغضينَ لكم علامَهْ

فخلعَ عليه المتوكِّلُ أربعَ خلع، وأعطاه ألفَ دينار[3]، وعشرة آلاف درهم، وولَّاه البحرين واليمامة.

وكان مروان أنشد المتوكل لما ولَّى ولاةَ العهد : [من الطويل]

---

(١) في الأغاني ٢٣/ ٢٠٦ : خلع ذي النعل للنعل.

(٢) في (خ) : عقر. وفي (ف) : عصر. والمثبت من الأغاني.

(٣) في تاريخ الطبري ٩/ ٢٣١ ـ والأبيات فيه ـ : ثلاثة آلاف دينار.

سَقى الله نجداً والسلامُ على نجدِ ... الأبيات.

فأعطاه مئةً وعشرين ألفاً، وثياباً، وخيلاً، وغيرها، فأنشده:

فأمسك ندا كفيكَ عنِّي ولا تَزِد فقد خفتُ أنْ أَطغى وأن أتجبَّرا

فقال له المتوكِّلُ: لا والله، ما أمسكُ حتى يغرقك جودي، ولا بدَّ أنْ تسألَ حاجةً، فقال: يا أمير المؤمنين، الضيعةُ التي أمرتَ بإقطاعي إيَّاها باليمامة، ذكر ابنُ المدبِّر أنَّها وقفٌ من المعتصم على ولده، ولا يجوز إقطاعها، قال: فإنِّي أقبلكها بدرهم في السنة مئَة سنة[1]، فقال: ما يحسن أن يؤدَّى درهم في الديوان، فقال ابن المدبِّر: فألف درهم؟ قال: نعم. ثم أطلقَ له ضياعاً كثيرةً، ولم يعطِ خليفةٌ شاعراً ما أعطاهُ المتوكِّل[2].

وقال الخطيب: كانت عدَّةُ نَوْبَةٍ من نُوَب الفرَّاشين في دار المتوكِّل أربعة آلاف فرَّاش[3].

وقال عليّ المنجِّم: خرجنا مع المتوكِّل إلى دمشق، فلحقتنا ضائقةٌ بسبب النفقات، فاقترضتُ من بَخْتيشُوع عشرين ألف درهم، وبلغَ المتوكل، فدخلت عليه بعد يومين، فقال: يا عليّ، لك عندي ذنبٌ عظيم، فقلت: ما أعرف لي ذنباً ولا جناية، فقال: بلى، استقرضتَ من بختيشوع عشرينَ ألف درهم، هلّا أعلمتني؟ فقلت: صلاتُ أميرِ المؤمنين عندي متواترة، وأرزاقُه كثيرةٌ، فاستحييتُ أن أسألَه، فقال: ولم؟ إيَّاك أن تستحي مني، وأن تعاودَ إلى مثلها، وأمر لي بمئةِ ألف درهم[4].

وقال الخطيب: اعتلَّ عبيد الله بن يحيى بن خاقان، فأمر المتوكِّلُ الفتحَ بن خاقان يعوده، فعاده وقال: أمير المؤمنين يسلِّم عليك، فقال عبيد الله: [من الهزج]

عليلٌ من مكانين من الأسقامِ والدَّينِ
وفي هذين لي شُغْلٌ وحسبي[5] شغلُ هذين

(١) في (خ) و(ف): فإني أقيلكها بدراهم في كل سنة مئة ألف. والمثبت من تاريخ الطبري ٩/ ٢٣٢.

(٢) من قوله: دخل مروان بن أبي الجنوب عليه فأنشده... إلى هنا ليس في (ب).

(٣) تاريخ بغداد ١/ ٤١٧.

(٤) تاريخ بغداد ٨/ ٤٩-٥٠.

(٥) في (خ) و(ف): وجسمي.

فأخبرَ الفتحُ المتوكِّل، فأمرَ له بألف ألف درهم.

ودخل عليُّ بن الجهم على المتوكِّل، وبيده دُرَّتان يقلِّبهما، فأنشدهُ أبياتاً منها: [من مجزوء الكامل]

وإذا مَـــرَرْتَ بـــبـــئـــر عُـــر وة فـاسـقـنـي مـن مـائِـهـا[١]

فدحَا إليه الدُّرةَ التي كانت في يمينه، فقلَّبها ابنُ الجهم، فقال له المتوكِّلُ: تستنقصُ، وهي خير من مئة ألف؟! فقال: لا، ولكن فكرت في أبياتٍ أعملُها لأجل التي في يسارك، قال: قل، فقال: [من مخلع البسيط]

بِـسُـرَّ مَـن رَا إمـامُ عَـدْلٍ تـغـرفُ مـن جـوده الـبـحـار[٢]
يُـرْجَـى ويُـخْـشَـى لـكـلِّ خـطـبٍ كـأنَّـه جـنَّـةٌ ونـارُ
الـمـلـكُ فـيـه وفـي بـنـيـه مـا اخـتـلـفَ الـلـيـلُ والـنـهـارُ
يـداه فـي الـجـود ضَـرَّتـانِ عـلـيـه كـلـتـاهـمـا تَـغَـارُ
لـم تـأت مـنـه الـيـمـيـن شـيـئـاً إلَّا أتـت مـثـلَـهـا الـيـسـارُ

فدحا إليه التي في يساره، ويقال: إنَّ الأبياتَ للبحتريِّ[٣] في المتوكِّل[٤].

[وحكى الخطيب عن][٥] الفتح بن خاقان: دخلتُ يوماً على المتوكِّلِ وهو مطرقٌ يتفكَّر، فقلت: ما هذا الفكر يا أمير المؤمنين؟ فوالله ما على وجه الأرض أطيبُ عيشاً منك، ولا أرخى بالاً، فقال: بلى يا فتح، أطيبُ عيشاً منِّي مَنْ له دارٌ واسعة، وزوجةٌ صالحةٌ، ومعيشةٌ حاضرةٌ، لا يعرفُنا فنؤذيه، ولا يحتاج إلينا فنزدريه[٦].

وكان المأمون يقول[٧]: الخليفةُ بعدي في اسمه عين، فكان المعتصم، ثم يقول: وبعدَه هاء، فكان الواثق، واسمه هارون، ثمَّ قال: وبعدَه أصفرُ الساقين، فإنَّ المتوكِّل

(١) ديوان علي بن الجهم ص٣٧.
(٢) في (خ) و(ف): تغرق. والمثبت ٨/ ٤٨، وديوان علي بن الجهم (التكملة) ص١٣٦.
(٣) وهي في ديوان البحتري ٢/ ١٠١٣-١١١٤ بألفاظ قريبة.
(٤) من قوله: وقال علي المنجم: خرجنا مع إلى هنا ليس في (ب).
(٥) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وقال.
(٦) تاريخ بغداد ٨/ ٥١.
(٧) في (ب): وروي أن المأمون كان يقول.

أصفر الساقين، كأنَّما صُبغَا بزعفران[١].

ذكر مقتله:

اتفقت له أسبابٌ ردية، من أعظمها تغيُّره على ولده [محمد] المنتصر، وأراد أن ينقلَ العهدَ منه إلى [ابنه] المعتز، [وكان المتوكِّل مائلاً إلى المعتز]؛ لمحبته لأمه [قبيحة]، وسأل [ابنَه] المنتصر أن ينزلَ عن العهد فأبى، [وكان المنتصر يحبُّ عليَّ بن أبي طالب وأهل البيت، والمتوكِّل يبغضهم، وعرف المتوكِّلُ من المنتصر،] فكان يحضرُه [في] مجالس العامَّة، ويحطُّ من منزلته ويتهدده بالقتل، وأحضرَه ليلةً وشتمَه شتماً قبيحاً وقال: أنت المنتظِر لموتي، وشتم أمَّه، فقام المنتصرُ وقال: والله لو أنَّها أَمَةٌ لبعض سوَّاسك لمنعتَ من ذكرها، ولوجبَ عليك صيانتُها، فغضب المتوكِّل وقال للفتح بن خاقان: برئتُ من قرابتي من رسولِ الله ﷺ لئن لم تلطمه[٢] لأقتلنَّك، فقام الفتحُ ولطمَه [لطمتين في وجهه]، وقال المتوكل: اشهدوا عليَّ أنِّي قد خلعتُه من الخلافة.

[قال الصوليُّ: وأحضره ليلةً وأمر جلساءه بسبِّ أمير المؤمنين عليّ، فغضب المنتصر، وقال: أما يستحيي من رسول الله ﷺ يأمر هؤلاء الصفاعنه[٣] بسبِّ ابن عمِّه؟ فقال المتوكِّل للمغاني: غنوا: [من المجتث]

غـــارَ الـــفـــتـــى لابـــن عـــمِّـــه (كـــذا وكـــذا)[٤] فـــي حِـــرِ امِّـــهْ][٥]

فبقيت هذه الأشياء في قلب المنتصر، وانضافَ إلى ذلك انحرافُ المتوكل عن الأتراك، وأخذُ ضياع وصيف وبُغا، فاتَّفقوا مع المنتصر على قتله [بعد أن استفتى الفقهاء في قتل أبيه]، وأقطع المتوكِّلُ ضياعَ وصيف بأصبهان والجبال للفتحِ بن خاقان، فجعلَ وصيف يُغري المنتصرَ بقتل أبيه ويطمعُه في الخلافة.

---

(١) تاريخ الطبري ٩/ ٢٣٣.

(٢) في (خ): تلطم خده.

(٣) كذا رسمت في (ب)، ولم أتبينها.

(٤) الشطر الثاني كما في الكامل ٧/ ٥٥:

رأس الـــفـــتـــى فـــي حـــر امـــه

(٥) ما بين حاصرتين من (ب).

ودخل شهرُ رمضان، وعزمَ المتوكِّلُ أن يصلِّي بالناس آخر جمعةٍ منه بسامراء، فاجتمعَ الناس من بغداد، وحشد بنو هاشم وغيرهم لرفعِ القِصص وكلامِه إذا ركب، فقال له الفتح بن خاقان[١]: يا أميرَ المؤمنين، قد اجتمع الناس للقصص من كل مكان، وأنت تشكو ضيقَ الصدر، فإن رأيتَ أن تأمر بعض ولاة العهود أن يصلي بالناس فافعل، فقال: من ترون لها؟ وكانوا قد عرفوا ميلَه إلى المعتزِّ، فأشاروا به وقالوا: شرِّفه في هذا اليوم بالنيابة عنك، فقال: نعم، وبلغ المنتصر وهو مقيمٌ في منزله بالجعفرية، فكان ذلك ممَّا زاد في إغرائه بأبيه.

وركبَ المعتزُّ والفتح معه وجميعُ القوَّاد والخاصة والعامة، فصعدَ المنبر فخطبَ آخر جمعة في رمضان، فأحسن في خطبته وقراءته، ولمَّا فرغ من الصلاة انصرفَ بين يديه داود بن محمد بن أبي العباس الطوسيّ، فقال داود: يا أمير المؤمنين، لقد رأيتُ الأمين والمأمون والمعتصم والواثق على المنبر، فوالله ما رأيتُ أحسنَ قواماً، ولا أحسن بديهةً، ولا أجهرَ صوتاً، ولا أعذب لساناً، ولا أفصح من المعتز، فأعزَّه الله بك، وأيَّده ببقائك، فقال له المتوكِّل: أسمعكَ الله خيراً، وأمتعنا بك[٢].

فلمَّا كان يوم الفطر، وهو يوم الأحد، وجد المتوكل فترةً، فقال: مروا المنتصرَ فليصلِّ بالناس، فقال له عبيد الله بن يحيى بن خاقان: يا أميرَ المؤمنين، قد كان الناس يتطلَّعون إلى رؤيتك في يوم الجمعة واحتشدوا، فلم تركب، وإن لم تركب اليوم ويراك الناس، لا نأمنُ أن يُرجِفوا بمرضك، وتختلَّ الأمور، فإن رأيتَ أن تَسُرَّ الأولياء بركوبك، وتكبتَ الأعداء، فافعل.

فركبَ في يوم الفطر وقد ضُرِبت له القباب[٣]، واجتمعت العساكر والقوَّاد، وترجَّلَ الناس ومشوا بين يديه نحواً من أربعة أميال، وكان يوماً عظيماً لم يُرَ في الإسلام مثلُه، ولا بعده، فلمَّا عاد إلى قصرِه أخذ حفنةً من تراب فوضعها على رأسه، فقيل له في ذلك،

(١) في تاريخ الطبري ٩/ ٢٢٢ : فقاله له عبيد الله بن يحيى والفتح بن خاقان.
(٢) انظر تاريخ الطبري ٩/ ٢٢٢-٢٢٣ .
(٣) في تاريخ الطبري ٩/ ٢٢٣ : وقد ضربت له المصاف.

فقال: إنِّي رأيتُ كثرة الجمع، وأنَّ الله ملَّكني عليهم، أحببتُ أن أتواضعَ لله تعالى.

وأقام نهار الأحد والإثنين والثلاثاء واجماً، وقد منع ندماءَه عنه، فلمَّا كان في نهار الثلاثاء أصبحَ نشيطاً، فدعا بندمائه وجلسَ في مجلس الشراب، وبين يديه الندماء وأهلُ الطرب[١]، وأرسلت له قبيحةُ مُطرفَ خزٍّ أخضر، لم يرَ الناسُ أحسنَ منه، فنظرَ إليه واستحسنه، وأمرَ به فقُطِع نصفين، وردَّه عليها، وقال لرسولها: قل لها: تذكرني به، فوالله إنَّ نفسي تحدِّثني أنِّي لا ألبسُه، فما أريدُ أحداً أن يلبسَه بعدي، فقال له ندماؤه: نعيذُك يا مولانا أن تقول هذا، فقال: أنا والله مفارقُكم عن قليل، [ولم يزل في لهوه وسروره إلى الليل][٢]. وكان قبلَ ذلك قد قُرِئ عليه كتابٌ[٣] فيه ملاحم، فمرَّ القارئُ على موضعٍ فيه أنَّ الخليفةَ العاشر من بني العباس يُقتَل في مجلسه، فقال المتوكِّل: ليتَ شعري من هذا الشقيُّ المقتول، ووجم فقيل له: أنتَ الحادي عشر، وذَكروا إبراهيم بن المهدي من جملة الخلفاء، فسرِّي عنه.

و[قال الصولي:] رأى [المتوكِّلُ] في منامه كأنَّ دابَّةً تكلِّمُه، فقال لبعض جلسائِه: ما تفسيرُه؟ فورَّى بشيءٍ آخر، ثم قال في نفسه: حان هلاكُه لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾[النمل: ٨٢].

وكان قد عزم على قتل المنتصر والأتراك معه في تلك الليلة، فأحضرَه وجعلَ مرَّةً يسقيه، ومرَّةً يشتمُه، ومرَّةً يصفعُه، ومرَّةً يتهدَّده بالقتل، ثم قال [له:] قد خلعتُك من الخلافة، وكنت قد سمَّيتُك المنتصِر، فسمَّاك الناسُ[٤] لحمقك المنتظِر، ثم صرتَ الآن المستعجل، فقال: يا أمير المؤمنين، لو ضربتَ عنقي لكان أسهل عليَّ مما تفعلُ بي.

وكان المنتصر واقفاً مع زرافة التركي الحاجب، فخرج [المنتصر] وقال لزرافة: ألا تشيعني ساعةً حتى أشكو إليك ما ألاقي، فقال: بلى، وخرج معه فشيَّعه إلى داره، وجعل

---

(١) من قوله: وأقطع المتوكل ضياع وصيف ... إلى هنا ليس في (ب).

(٢) ما بين حاصرتين من (ب). ووقعت هذه العبارة في (خ) و(ف) بعد قوله الآتي: دابة من الأرض تكلمهم. وانظر تاريخ الطبري ٩/ ٢٢٥.

(٣) في (ب): وقال الصولي: قرئ على المنتصر كتاب ... وترتيب الأخبار في (ب) مختلف عما في (خ) و(ف).

(٤) في (خ) و(ف): فسماك الله. والمثبت من (ب) وتاريخ الطبري ٩/ ٢٢٥.

يطاوله، حتى أغلق بُغَا الأبواب كلَّها، إلَّا باب الماء.

[وقال الصولي: لمَّا كانت ليلةُ الأربعاء لثلاثٍ خلون من شوال سنة سبعٍ وأربعين ومئتين، وكان المتوكِّلُ على تلك الحالة في قصره المعروف بالجعفريّ، وعنده الفتح ابن خاقان وجماعةٌ من المغنين، فقال لبعضهم: غنِّي، فغنَّى هذه الأبيات:][(١)] [من الكامل]

يا عاذليَّ من الملام دعاني ... إنَّ البليَّة فوق ما تصفانِ
زعمتْ بثينةُ أنَّ رحلَتنا غداً ... لا مرحباً بغدٍ فقد أبكاني[(٢)]

فتطيَّر المتوكِّلُ من هذا، وقال: ويحك، كيف وقعَ لك هذا، غيِّره، فذهبَ ليغيِّرَهُ بغيره فأعاده. [وأقام المتوكل في مجلسه إلى ثلث الليل][(٣)].

ودعا المتوكِّلُ بطعامٍ، وكان بُغا الشرابيُّ قائماً عند الستر، وكانت نوبتُه في تلك الليلة[(٤)]، فقال للندماء: انصرفوا، فقال الفتح: ليسَ هذا وقت انصرافهم، فقال بغا: قد شرب أميرُ المؤمنين كثيراً، فأخرجهم، ولم يبقَ إلَّا المتوكِّل والفتح بن خاقان وأربعةٌ من الخدم، شفيع، وفرج الصغير، ومؤنس، وأبو عيسى[(٥)]، ودخل القوم الذين عَيَّنوا قتلَه من باب الماء[(٦)]، وهم باغر وبغلون وموسى بن بغا وهارون بن صوارتكين، فلمَّا رأى المتوكل السيوف مسلَّلة قال: ما هذا؟ قيل أصحاب النوبة، ورجع القومُ لمَّا سمعوا كلام المتوكِّل، فقال لهم بُغَا: ويحكم، أنتم مقتولون لا محالة، فموتوا كراماً، فرجعوا إلى المجلس، فابتدره بغلون، فضربه على كتفه وأذنه فقدَّه، فقال: مهلاً، قطعَ الله يدك، وأراد الوثوبَ، فاستقبلَه فأبان يده، وشركه باغر. وقيل: أول من ضربه باغر على عاتقه، فنزل السيفُ إلى خاصرته، ثم ثناه.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وقال المتوكِّلُ لبعض المغنين: غنِّي، فغنى.

(٢) ديوان جميل بثينة ص٢٠٥.

(٣) المنتظم ١١/ ٣٥٧-٣٥٨، وما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في تاريخ الطبري ٩/ ٢٢٦ أنها كانت نوبة بغا الكبير لا بغا الصغير المعروف بالشرابي، وكان بغا الكبير يومئذ بسميساط وخليفته في الدار ابنه موسى.

(٥) من قوله: ودعا المتوكل بطعام... إلى هنا ليس في (ب).

(٦) في تاريخ الطبري ٩/ ٢٢٦، والكامل ٧/ ٩٨: باب الشط.

[قال الصولي:] وكان أهدي للمتوكل [سيفٌ لم يُرَ مثله في الدنيا، فوهبه لباغر، فقتله به.

قال الصولي: وُصِف] هذا السيف [للمتوكل] فاشتراه بألفي درهم قبل أن يراه، فلمَّا رآه استحسنه، وكان قاطعاً، فالتفتَ إلى باغر وقال: هذا سيف وحش، [وأنت وحش]، فخذه، فوهبه[١] له.

[وفي روايةٍ أنَّ هذا السيف وصِف للمتوكِّل مدَّةً حتى وقع به.

وقال الصولي: دخل المتوكِّلُ][٢] بيتاً فيه تصاوير، فرأى صورةَ باغر التركي، وكان يبغضه، فقال: والله لا عدتُ إلى هذا البيت أبداً بغضاً لباغر، فما مضت الأيام حتى قتلَه باغر.

فصاح الفتح: ويلكم قتلتُم أمير المؤمنين، فقال له [باغر:] يا فاعل، وشتمَه شتماً قبيحاً: ألا تسكت، فرمى الفتحُ نفسَه عليه، فبعجُوه بالسيوف فقتلوه، وخرج القوم إلى المنتصر، فسلَّموا عليه بالخلافة، وقاموا على رأس زرافة بالسيوف، وقالوا: بايع، فبايع.

وكان عبيدُ الله الوزير في الحجرة ينفذ الأمور، ولا يعلم بشيء، فدخلَ عليه خادم فقال: ما يقعدُك، الدارُ سيفٌ واحد، فخرج إلى بعض أبواب الشطِّ فرآه مغلقاً، فكسره، وصار إلى زورق، فقعدَ فيه، وصار إلى منزل المعتز، فسأل عنه فلم يجده، فقال: إنَّا لله، قتلني وقتل نفسَه، واجتمع غداةَ يوم الأربعاء إلى عبيد الله الوزير أصحابُه ومواليهم وغيرهم في عشرة آلاف وأكثر، فقالوا له: إنَّما أنت تصطنعنا لمثل هذا اليوم، فمرنا بأمرِك لنميلَ على القوم، فنقتلَ المنتصرَ والأتراك وغيرهم، فأبى ذلك، وقال: الرجلُ في أيديهم ـ يعني المعتز ـ فما ينفع[٣].

وقيل: إنَّ المتوكِّلَ قُتِلَ ليلةَ الخميس لخمسٍ خلونَ من شوال.

[وقال ابن أبي الدنيا: قتل][٤] ليلةَ الأربعاء بعد العتمة بساعة.

---

(١) انظر مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٩٣. وفيه: ياغر.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وكان المتوكل دخل.

(٣) من قوله: وكان عبيد الله الوزير ... إلى هنا، ليس في (ب).

(٤) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): وقيل.

[واختلفوا في كيفية دفنه، فقال الصوليُّ: أُمِر به وبالفتح بن خاقان، فدفنا][(١)] في قبرٍ واحد، ولم يُغسَّلا من دمائهما. وقيل: لُفَّا في بساطٍ بقيَّةَ ليلتِهما، ثم دُفنا من الغد. ويقال: إنَّ قبيحةَ كفنته في ذلك الثوب الذي مزَّقه نصفين.

وصلَّى عليه ابنُه المنتصر، ودفن في قصره المعروف بالجعفري، وهو الذي قُتِل فيه.

[واختلفوا في سنِّه، فقال الصوليُّ:] كان سنّه يومَ قُتل إحدى وأربعين سنة، وقيل: أربعون [سنة]، وقيل: تسعٌ وثلاثون سنة، وتسعة أشهر، وعشرة أيام، [وقد ذكرنا أنَّه ولد في سنة ستٍّ ومئتين]، وكانت خلافته أربع عشرة سنة، وعشرة أشهر، وثلاثة أيام. وقيل: أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وأياماً.

وقال بنان المغنِّي: كان المنتصر يشبِّبُ بقتل أبيه، فلمَّا كان في الليلة التي قتل فيها، قال لي: يا بنان، قد زوَّجتُ ابنَ زرافة بابنة أوتامش، وابنَ أوتامش بابنة زرافة، [قال:] فقلت: يا سيِّدي، فأين النثار؟ فقال: الآن تراه، فقُتِل أبوه في تلك الليلة، رحمه الله تعالى[(٢)].

ذكر ما ظهر من الآثار عند قتله:

[ذكر الخطيب بإسناده عن الطيالسي قال: أخبرني][(٣)] بعض الزمازمة الذين يحفظون زمزم [قال:] غارت زمزم ليلةً من الليالي، فأرَّخناها، فجاء الخبر أنَّها الليلةُ التي قُتِل فيها المتوكِّل.

[وحكى الخطيب بإسناده عن عمرو بن شيبان الحلبي قال:][(٤)] رأيتُ في الليلة التي قُتِل فيها المتوكل حين أخذت مضجعي كأنَّ آتياً أتاني، فقال لي: [من البسيط]

يا نائم العين[(٥)] في جثمانِ يقظان أفض دموعك يا عمرَو بن شَيبانِ

(١) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): ودفن هو والفتح بن خاقان.
(٢) تاريخ الطبري ٩/ ٢٢٦.
(٣) ما بين حاصرتين من (ب)، ومكانها في (خ) و(ف): قال. وانظر الخبر في تاريخ بغداد ٨/ ٥٤.
(٤) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وقال عمرو بن شيبان الحلبي.
(٥) في (خ): الليل.

أمَا ترى الفتيةَ الأرجاسَ ما فعلوا بالهاشميِّ وبالفتحِ بنِ خاقانِ
وافى إلى الله مظلوماً فضجَّ له أهلُ السماوات من مثنى ووحدانِ
وسوف تأتيكُم أخرى مُسوَّمَةٌ توقعوها لها شأنٌ من الشانِ
فابكُوا على جعفرٍ وارثُوا خليفتَكم فقد بكاهُ جميع الإنسِ والجان

فأصبحتُ وإذا الناس يقولون: قُتِلَ المتوكِّلُ في هذه الليلة[١].

وقال أبو عبد الله أحمد بن العلاء: رأيتُ المتوكل بعدَ قتله بأشهر كأنَّه بين يدي الله تعالى، فقلت: ما فعلَ الله بك؟ قال: غفر لي، قلت: بماذا؟ قال: بقليلٍ من السنَّة تمسَّكتُ بها، قلت: فما تصنع ها هنا؟ قال: أنتظرُ ابني محمداً أخاصمه إلى الله العظيم[٢].

وقال جعفر المتوكلي[٣]: رأيتُ المتوكِّل في النوم وهو جالسٌ في النور، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وذكر بمعناه.

وقال أبو الوارث قاضي نصيبين: رأيتُ في منامي كأنَّ آتياً أتاني فقال: [من البسيط]

يا نائمَ العينِ في جثمانِ يقظان ما بالُ عينكَ لا تجري بتَهْتَانِ
إنَّ اللياليَ لم تحسِن إلى أحدٍ إلا أساءتْ إليه بعد إحسانِ
أما رأيتَ صروفَ الدهر ما فعلت بالهاشميِّ وبالفتحِ بن خاقانِ[٤]

فما كان بعد أيام حتى وصلَ البريد بقتلهما[٥].

وقال الصولي: سمع الناس قائلاً يقول: [من مجزوء الكامل]

يا عينُ ويحكِ فاهملي بالدمعِ منك واسبلي

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٥٣ .

(٢) في (خ) بين يدي الله تعالى. وانظر تاريخ بغداد ٨/ ٥٤ ، والمنتظم ١١/ ٣٥٩ .

(٣) كذا في (خ) و(ف) . والخبر في تاريخ بغداد ٨/ ٥٢ عن عليِّ بن إسماعيل قال: رأيت جعفر المتوكل بطرسوس في النوم وهو في النور جالس...

(٤) من قوله: وافى إلى الله مظلوماً . . . إلى هنا ليس من (ب).

(٥) تاريخ الطبري ٩/ ٢٣٠ ، دون البيت الثاني وفيه بعد الأخير:

وسوف يتبعهم قوم لهم غدروا حتى يصيروا كأمسِ الذاهب الفاني

دلَّتْ على قُرْبِ القَيَا ... مةِ قِتْلَةُ المتوكِّل[١]

ورثاه البحتريُّ بعدَ موتِ المنتصر فقال: [من الطويل]

لنعم الدمُ المسفوحُ ليلةَ جعفر ... هَرقتُم وجُنْحُ الليلِ سودٌ دياجرُهْ
أكان وليُّ العهدِ أضمرَ غَدْرَةً ... ومن عجبٍ أن وُلِّيَ العهدَ غادرُهْ
فلا مُلِّيَ الباقي تراثَ الذي مضى ... ولا حملتْ ذاكَ الدعاءَ منابرُه[٢]

وقال علي بن الجهم: [من الطويل]

عبيد أمير المؤمنين قتلنه ... وأعظمُ آفاتِ الملوك عبيدُها
بني هاشمٍ صبراً فكلُّ مصيبةٍ ... سيبلَى على طولِ الزمان جديدُها[٣]

[ذكر من قتله عبيده:

أولهم][٤] المتوكل، وخمارويه بن أحمد بن طولون، وأبو سعيد الجَنابي القُرْمُطِي ومن المغاربة علي بن محمود، في خلقٍ يسير[٥].

ذكر أخبار متفرقة [من سيرة المتوكل:

ذكر الحافظ ابن عساكر في «تاريخه» أنَّ المتوكِّل ولَّى][٦] على دمشق رجلاً يقال له: سالم بن حامد[٧]، وكان سيِّء السيرة، فوثبَ عليه أهلُ دمشق على باب الخضراء، فقتلوه وقتلوا من قدروا عليه من أصحابه، فقال المتوكل: من للشام يكون له صولة الحجاج؟ فقال له أفريدون التركي: أنا[٨]، فجهَّزه في سبعةِ آلاف فارس، وثلاثةِ آلاف راجل، وأباحَ له دمشق ثلاثةَ أيَّامٍ قتلاً ونهباً، فجاء أفريدون فنزل بيت لِهْيا، ويقال لها: السكاسك والسكون، فلمَّا أصبح استعدَّ وعبأ أصحابه، ودعا ببغلةٍ دهماء ليركبها،

(١) انظر تاريخ الطبري ٩/ ٢٣٠.
(٢) ديوان البحتري ٢/ ١٠٤٨-١٠٤٩.
(٣) في (ب): ورثاه البحتري بعد موت المنتصر، ورثى ابن الجهم المتوكل. وليس فيها ذكر الأبيات.
(٤) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وممن قتله عبيده.
(٥) في (ب): كثير.
(٦) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): قال ابن عساكر: ولى المتوكل.
(٧) في (خ) و(ف): أحمد بن سالم. وفي (ب): سالم بن أحمد. والمثبت من تاريخ دمشق ١٨/٧ (مخطوط).
(٨) في تاريخ دمشق: فقيل له: أفريدون التركي فدعا به.

وقال: يا دمشق، إيش يحلُّ بك اليوم؟! فلمَّا أرادَ أن يضع رجله في الركاب، دارت إليه وضربته بالزوج على فؤاده، فوقعَ ميتاً من ساعته، وخاب سعيه، وصار مثلاً، وانصرفَ جيشُه إلى العراق خائفين من نهب الشاميين، وقُتِل المتوكِّلُ بعد ذلك بيسير.

وقال أبو الفرج الأصفهانيّ: لما أراد المتوكِّلُ الرجوعَ من الشام إلى العراق أحبَّ أن يجعلَ طريقَه على البريّة؛ لينظرَ إلى آثار بني أميَّة ومصانعهم، وقصور هشام بالرُّصَافة، فرأى ديراً إلى جانب قصور هشام، فدخله، فإذا في أعلاه مكتوب: [من الطويل]

أيا منزلاً بالدير أصبحَ ثاوياً ... تلاعبُ فيه شمألٌ ودَبورُ
كأنَّك لم يسكنكَ بيضٌ أوانسٌ ... ولم يتبختر في فنائِكَ حُورُ
وحولك راياتٌ لهم وعساكرٌ ... وخيلٌ لها بعد الصهيلِ شخيرُ
إذ العيش غضٌّ والخلافةُ لدنةٌ ... وأنتَ طريرٌ والزمانُ غَرِيرُ
وروضُك مرتاضٌ ونورك نيِّرٌ ... وعيشُ بني مروان فيك نضيرُ
بلى فسقاك الله صوب غمامة ... عليك [لها] بعد الرَّواحِ بكورُ
تذكَّرتُ قومي خالياً فبكيتُهم ... بشجوٍ ومثلي بالبكاء جديرُ
وعزَّيتُ نفسي وهي نفسٌ إذا جرى ... لها ذكرُ قومي أنَّةٌ وزفيرُ
لعلَّ زماناً جار يوماً عليهم ... لهم بالذي تهوى النفوسُ يدورُ
فيفرحَ محزونٌ ويَنْعَمَ بائسٌ ... ويُطْلَقَ من رقِّ الوَثَاق أسيرُ
رويدَك إنَّ اليوم يتبعُه غدٌ ... وإنَّ سرورَ الدائرات[1] تدورُ

فبكى المتوكل بكاءً شديداً[2].

وقال الصولي: كان المتوكل مغرًى ببناء القصور، لم ينفق خليفةٌ عليها مثل ما أنفق؛ بنى بسرَّ من رأى قصراً غَرِم عليه ثلاثَ مئة ألف دينار، وبنى الجعفريّ، وغرم عليه مثل ذلك، وأمر الشعراء أن يمدحوه، فقال عليُّ بن الجهم: [من المتقارب]

---

(١) كذا في (خ) و(ف)، والخبر ليس في (ب). وفي البصائر والذخائر ٨/ ١٠٥، ومعجم ما استعجم ٢/ ٥٨١: صروف الدائرات.

(٢) في المصادر أن المتوكل لما قرأها ارتاع وتطير، ودعا صاحب الدير وسأله عن الرقعة، .. إلخ. وليس فيها أنه بكى.

وما زلتُ أسمعُ أنَّ الملوك ... تبني على قَدرِ أخطارِها
صحونٌ تسافرُ فيها العيون ... وتحسرُ عن بعد أقطارها
وقُبَّةُ ملكٍ[1] كأنَّ النجو ... م تصغي إليها بأسرارها
إذا أُوقدَتْ نارُها بالعراق ... أضاءَ الحجازَ سنا نارِها
تخرُّ الوفودُ لها سُجَّداً ... إذا ما تجلَّتْ لأبصارِها
لها شُرُفاتٌ كأنَّ الربيع ... كساها الربيع بأزهارها[2]
وفوارة ثأرها في السماء ... فليست تقصِّرُ عن ثأرها
تردُّ على المزنِ ما أنزلتْ ... على الأرض من صَوبِ مِدْرارِها[3]

وقال علي بن الجهم: دخلتُ على المتوكِّل يوماً، فقال لي: يا عليّ، دخلتُ الساعة على قبيحة، وقد كَتَبَت اسمي بالمسك على خدِّها، فوالله ما رأيتُ سواداً في بياضٍ أحسن منه في ذلك الخدِّ، فقل فيه شيئاً، قال: وقبيحة[4] خلف الستر، فبادرتني وقالت: [من الطويل]

وكاتبةٍ بالمسك في الخدِّ جعفرا ... بنفسي محطُّ المسكِ من حيث أثَّرَا
لئن أودعَت سطراً من المسكِ خدَّها ... لقد أودعت قلبي من الحبِّ أسطُرا
فيا من بمملوكٍ لملكِ يمينه ... مطيعٍ له فيما أسرَّ وأظهرا

فأفحمتُ فلم أقدر على حرفٍ، وضحك المتوكِّلُ ووصلني[5].

وقال يمدحه وقد بَرِئ من مرضه: [من الخفيف]

كلُّ شيء إذا اعتللتَ عليلُ ... وشكاةُ الإمام خطبٌ جليلُ
كادت الأرضُ أن تميدَ لشكوا ... ك وكادت لها الجبالُ تزولُ

(١) في (خ) و(ف): وفيهم ملك. والمثبت من الديوان.
(٢) في ديوان علي بن الجهم: كساها الرياضَ بأنوارها.
(٣) ديوان علي بن الجهم ص٢٨-٣١. وهذه القطعة لم ترد في (ب).
(٤) في مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٩٠: وكانت محبوبة جالسة وراء الستارة... قالت على البديهة... وكذا نسبه لمحبوبة أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني ٢٢/ ١٩٩.
ونسبه أيضاً ١٩/ ٣١٠-٣١١ لفضل الشاعرة.
(٥) الخبر ليس في (ب).

ورأينا الأمور حسرى كليلا ... تٍ ولم يلبث[١] الحسيرُ الكليلُ
وَلِهَتْ أنفسٌ وكادت من الوجـ ... ـدِ عيونٌ من الدماءِ تسيلُ[٢]
وشكا الدِّينُ ما شكوتَ من العلَّـ ... ـةِ شكوى قد اجتوتها[٣] العقول
ثمَّ لمَّا أفقتَ أشرقتِ الآ ... فاقُ وانقادَ للهداةِ السبيلُ
واطمأنَّت زلازلُ الأرض حتى ... ذاب منها وعورُها والسهولُ[٤]
فهنيئاً للمُلْكِ صِحَّةُ راعيـ ... ـهِ وللدينِ عِزُّه الموصولُ[٥]
عبدُكَ الفتحُ كابدَ الليل حتى ... نالَ من جسمه الضَّنى والنُّحولُ
فإذا ما سلمتَ فهو سليمٌ ... وإذا ما اعتللتَ فهو عليلُ

فأعطاهُ الفتح عشرة آلاف درهم[٦].

وقال عافيةُ بن شَبيب التميميّ: كنَّا نكثرُ الحديثَ للمتوكِّل عن الجمَّاز ـ واسمُه محمد بن عمرو بن حمَّاد، مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقيل: اسمه إسماعيل[٧] ـ فأحبَّ أن يراه، فحُمل إليه، فلمَّا دخلَ عليه لم يقع الموقعَ الذي أردناه، فقال له المتوكل: تكلَّم فإنِّي أريدُ أن أستبريك، فقال الجمَّاز: بحيضةٍ أو بحيضتين؟ فضحكَ المتوكِّل والجماعة، فقال له الفتح: قد كلَّمتُ أميرَ المؤمنين فيك، فولَّاك جزيرةَ القرود، فقال الجمَّاز: ألستَ من رعيَّتي؟ فحصر الفتح، وأمر له المتوكِّلُ بعشرةِ آلاف درهم، فأخذَها ومضى إلى البصرة، فمات[٨].

وقال يموت بن المزرِّع: كان أبي والجمَّاز يمشيان وأنَا خلفهما، فمررنا بإمامٍ قد

(١) في ديوان علي بن الجهم: وهل يلبث.
(٢) في الديوان: عيون مع الدموع تسيلُ.
(٣) في (خ) و(ف): شكوى تبينها. والمثبت من الديوان.
(٤) في ديوان علي بن الجهم:
واطمأنَّت زلازلُ الشرق والغر ... بِ وغاضت عن الصدور الذُّحولُ
(٥) ديوان علي بن الجهم ص٢٣-٢٥، والبيتان الآتيان ليسا فيه، وذكرهما محقق الديوان في التكملة ص١٦٩ نقلاً عن مرآة الزمان.
(٦) الخبر ليس في (ب).
(٧) لم أقف على من سماه إسماعيل. وانظر تاريخ بغداد ٤/ ٢١١.
(٨) تاريخ بغداد ٤/ ٢١٢. والخبر ليس في (ب).

أذَّن، وهو ينتظرُ من يمرُّ عليه فيصلي معه، فلمَّا رآنا الإمامُ أقامَ الصلاة مبادراً، فقال له الجمَّاز: دع هذا عنك، فإنَّ النبيَّ ﷺ نهى عن تلقي الجَلَبْ[١].

ودخل الحسينُ بن الضحَّاك الخليع على المتوكِّل فأنشده: [من الطويل]

سقاني بكفَّيه وعينيه شربةً ... فأذكرَني ما قد نسيتُ من العهدِ
سقَى اللهُ دهراً لم أبتْ فيه ليلةً ... من الدهر إلَّا من حبيبٍ على وعدِ[٢]

فأعطاهُ عشرين ألفاً.

وأهدى رجلٌ للمتوكل قارورةً فيها دهن بان، وكتب معها: يا أمير المؤمنين، إنَّ الهديةَ إذا كانت من الحقير إلى الخطير، فكلَّما لطفت كانت أحسن، وإذا كانت من الخطيرِ إلى الحقير، فكلَّما جلَّت كانت أبهى وأنفع، فوصلَه بمال.

وقال المتوكِّل يوماً لأبي الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا: ما يقول ولدُ أبيك في العباس[٣]؟ قال: ما تقولون في رجل افترضَ الله طاعةَ نبيِّه ﷺ على خلقه وافترض طاعته على نبيه. فطرب المتوكِّل وأعطاه مئة ألف درهم[٤].

وهذا من المعاريض؛ لأنَّ أبا الحسن ورَّى وقصد طاعةَ الله على نبيه ﷺ، فظنَّ المتوكِّلُ أنَّه عنى به العباس.

وكان المتوكِّل قد أشخصَ أبا الحسن من المدينة لشيءٍ بلغَه عنه، فوجده بريئاً.

وكان المتوكِّلُ فطناً، أنشدَه يحيى بن أكثم: [من الوافر]

وباسطة بلا نصبٍ جناحاً ... وتسبق ما يطير ولا تطيرُ
إذا ألقمتَها الحجرَ[٥] اطمأنَّت ... وتألمُ أن يباشرها الحريرُ

فلم يفهم الحاضرون معناها، فقال المتوكل: هي العين.

---

(١) تاريخ بغداد ٤/ ٢١٢ . والخبر ليس في (ب) .
(٢) العقد الفريد ٦/ ٤٠٠ . والخبر ليس في (ب) .
(٣) في (خ) و(ف) : في ولد العباس. والمثبت من المصادر.
(٤) مروج الذهب ٧/ ٢٠٦ ، وتاريخ الإسلام ٥/ ١٠٩٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٨ .
(٥) أراد بالحجر الإثمد. انظر التذكرة الحمدونية ٨/ ٣٢٧ .

ذكر أولاده ونسائه [وسراريه:

قال علماء السير:] كان له نيفٌ وثلاثون ولداً ما بين ذكرٍ وأنثى؛ محمد المنتصر لأمٍّ ولد، وموسى لأمٍّ ولد[١]، وأبو عبد الله المعتز، وإسماعيل وعبد الله، وأمُّهم أم ولد صِقلِّيَّة اسمها قبيحة، وإبراهيم المؤيَّد وأبو أحمد الموفق واسمه طلحة، لأمِّ ولدٍ واسمُها إسحاق[٢]، أندلسيَّة، وأبو بكر وموسى لأمِّ ولد اسمها لهب، وأبو العباس أحمد المعتمد لأمِّ ولدٍ اسمها فتيان، وأبو عيسى لأمِّ ولد اسمها خزر، ويعقوب لأمِّ ولد يقال لها: الحين، كانت جاريةً لقبيحة وهبتها المتوكِّل، وأبو القاسم عبد الله لأمِّ ولد اسمها جعفر كوفية، وأبو حفص لأمِّ ولد صِقلِّيَّة يقال لها حنت، وأبو العباس ويلقب بالكبش[٣] لأمِّ ولدٍ روميَّة يقال لها: قلب، وأبو شيبة ـ واسمه الغيداق ـ وأم العباس ومريم، وأمُّهم أم ولد يقال لها: مالك، وعبد الله لأمِّ ولدٍ يقال لها تيسرع، والفضل وفاطمة لأمِّ ولدٍ يقال لها: سبتح، وعائشة وأختها لأمِّ ولد يقال لها: بوسة، وخديجة لأمِّ ولد يقال لها: زيد، وأمُّ القاسم لأمِّ ولد يقال لها: كهف، وأم موسى لأمِّ ولد يقال لها: مستهام، وزينب لأمِّ ولد يقال لها: عرس، وأروى لأمِّ ولد يقال لها: مترف، وصفيَّة لأمِّ ولد يقال لها: فخر، وأم الفضل لأمِّ ولد يقال لها: جود، وأم حبيب لأمِّ ولد اسمها لبنى[٤].

ولي الخلافة من أولاده ثلاثةٌ المنتصرُ، والمعتزُّ، والمعتمد.

وأمَّا نساؤه فأربع، أمُّ سلمة بنت سليمان بن القاسم بن عيسى بن موسى الهادي، وريطةُ بنت العباس بن عليِّ بن المهدي، طلب منها أن تَطمَّ[٥] شعرها مثلَ الغلمان، فأبت، فطلقها، وفاطمة بنت موسى بن محمد بن عبد الله بن موسى، طلقها، وعائشة بنت عمرو بن الفرج الرُّخَّجي، باتت عندَه ليلةً وطلَّقها. ويقال: [إنه] تزوَّج نساءً أُخر.

---

(١) المنتصر وموسى لأمٍ واحدة. انظر جمهرة أنساب العرب ص٢٧.

(٢) في جمهرة أنساب العرب: سحق.

(٣) كذا في (خ) و(ف). وفي جمهرة أنساب العرب ص٢٧: بالكيِّس.

(٤) من قوله: محمد المنتصر لأم ولد... إلى هنا ليس في (ب). وما سلف بين حاصرتين منها.

(٥) في (ب): تضفر، وفي (خ): تصفر، وفي (ب): تظهر. والمثبت من المحاسن والأضداد للجاحظ ص١١٨. وطَمُّ الشعر: جزه. انظر القاموس (طمم).

وأما سراريه فكانَ له خمسة آلاف سُرِّيَّة، فيقال: إنَّه وَطِئ الجميع، وكان أبو عبّاد يقول: أحلفُ بالله، لو لم يقتل المتوكِّلُ لما عاش من كثرةِ جماعه، كان يصبُّ في أذنه أوقية دهن بنفسج، فلا يبين فيها، وكانت أعضاؤه قد يبست، فأمر أن يجعل له الزئبق في زِقاقٍ ويُملأ منها بركة، ويُفرش له فوقها، وكان يكفيه في وقت الجماع تحريكُ ذلك الزئبق، ولا يتحرك بنفسه.

[قلت: وأيُّ لذةٍ في هذا إذا لم يكن الباعث قوياً من نفسه وذاته، وأنَّه هو الذي يتولَّى ذلك بنفسه.]

ولم يكن عنده أحظى من قبيحة أم المعتزّ، وله فيها أشعار، منها: [من السريع]

إنسانةٌ كالشمس هيفانة ... أحسِبُها ليست من الإنسِ
مليحةُ الشكل غلاميَّة ... أحسنُ في الحسن من الشمسِ

[وبدر منها أمورٌ كاسمها، وأهينت هواناً عظيماً، وسنذكرها في ترجمة المعتز][1].

وكان للمتوكِّل[2] جاريةٌ اسمها محبوبة، وكان يجدُ بها وَجداً شديداً، وكانت من الأدب والإحسان في الغناء على غاية، وكانت تحبُّه حبّاً شديداً، وتفرَّقَ الجواري إلى القُوَّاد، فصارت إلى وصيف التركي، فجلس يوماً للشراب، وأحضر الجواري اللاتي كنَّ للمتوكِّل في الحليّ والحُلَل، وأحضرَ محبوبة، فجاءت وعليها ثوبٌ من قطن أبيض خشن، ومِعْجَرٌ أبيض، وهي باكية، فقال وصيف للجواري: غنين، فغنينَ وطربن وضحكن، وأومأ إلى محبوبة بالغناء، فقالت: إنْ رأى الأمير أن يعفيني، [فإنِّي حزينة] فأبى، وقلن لها الجواري: لو كان في الحزن فرجٌ لحزنَّا معك، وجيء بعودٍ فوضعَ في حجرها، فأنشأت تقول: [من مجزوء الخفيف]

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) بعدها في (ب): أنبأنا عبد العزيز بن (...) بإسناده عن أبي العباس المروزي قال أخبرني (بعض أهل الأدب أنه) كان للمتوكل جارية يجد...

وما بين قوسين غير واضح في المخطوطة وقد أصابها في الوسط رطوبة فطمست الكلمات، وتبينت بعضها من المنتظم ١١/ ٣٦٠.

أيُّ عيشٍ يطيبُ لي لا أرى فيه جعفرَا
ملكاً قد رأته عيـ ـني جريحاً معفَّرَا
كلُّ من كان هائماً أو سقيماً فقد بَرَا
غيرَ محبوبة التي لو ترى الموتَ يُشتَرى
لاشترتهُ بما حوتـ ـهُ جميعاً لتُقْبَرا[1]

فاشتد ذلك على وصيف، وأمرَ بإخراجها، فصارت إلى قبيحة، ثم بعث وصيف بعد ذلك إلى قبيحة يطلبُها، فقالت: إنها تمسَّحت ـ أي: لبست مِسْحاً ـ ومضت، لا أدري إلى أين صارت.

[قلت: وهذه الجارية أهداها ابن طاهر إلى المتوكِّل من خراسان، وقد ذكر الحكاية الخرائطيُّ في كتاب «اعتلال القلوب» أتمَّ من هذا، فقال: حدثنا أبو العباس أحمد بن إسحاق الجوهري قال:] قال [لي] علي بن الجهم: لما أفضت الخلافةُ إلى المتوكِّل، أهدى إليه ابن طاهر من خراسان جواري، فيهن [جاريةٌ يقال لها:] محبوبة، وكانت قد نشأت بالطَّائف، وكان لها مولًى مغرًى بالأدب، وكانت قد أخذت عنه، وروت الأشعار، وكان المتوكِّلُ بها معجباً[2]، فغضبَ عليها يوماً، ومنع جواري القصر من كلامها، فكانت في حجرتها أيَّاماً لا يكلمُها أحد، فرأت في المنام كأنَّه قد صالحها، قال [عليُّ] بن الجهم: فدخلت عليه، فقال: يا عليّ، قلت: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: أشعرتَ أنِّي رأيتُ محبوبة في المنام كأنِّي قد صالحتُها وصالحَتني، فقلت: خيراً يا أمير المؤمنين، إذاً يُقِرُّ الله عينك ويسرُّك، فوالله إنَّا فيما نحن فيه من حديثها، إذ جاءت وصيفةٌ فقالت له: يا سيدي، سمعتُ صوتَ عودٍ من حجرة محبوبة، فقال: يا عليّ، قم بنا، فنهضنا حتى أتينا حجرتَها، فإذا هي تضرب بالعود وتقول: [من المنسرح]

أدورُ في القصر لا أرى أحداً أشكو إليه ولا يُكلِّمني

(١) انظر اعتلال القلوب ص١٩٤، ومروج الذهب ٧/ ٢٨٦، والأغاني ٢٢/ ٢٠٢، ومختصر تاريخ دمشق ٦/ ٩١-٩٢.

(٢) في (ب) ـ وما سلف بين حاصرتين منها ـ : محبًّا.

حتى كأنِّي أتيتُ معصيةً ليس لها توبةٌ تخلِّصُني
فهل شفيعٌ لنا إلى ملكٍ قد زارَني في الكَرى فصَالحَنِي
حتَّى إذا ما الصباحُ لاحَ لنا عادَ إلى هجرِهِ فصَارَمَني

[قال:] فصاحَ المتوكِّلُ، وصحتُ معه، وسمِعَتْ فخرجَتْ، فأكبَّت على رجله تقبِّلُها، وقالت: يا سيِّدي، رأيتُك في المنام في ليلتي هذه كأنَّك قد صالحتَني، فقال: وأنا والله رأيتُ كذلك، ثم ردَّها إلى مرتبتِها كأحسن ما كانت.

[قال: فلمَّا كان من أهل[1] المتوكِّل ما كان، تفرقنَ، فصرنَ إلى القوَّاد، وصارت محبوبةُ إلى وصيف. تمام الحكاية، وأنَّ وصيف قال لها: غنِّي، فغنَّت:

أيُّ عيشٍ يطيبُ لي لا أرَى فيه جعفرَا

قال: ثم صارت إلى قبيحة، فلبست الصوف، وأخذت ترثيه وتبكي حتى ماتت.][2]

وكان[3] للمتوكِّل خادمٌ اسمه شفيع، لم يكن في الدنيا أحسن منه ولا أظرف، وكان المتوكِّل يحبُّه حبًّا شديداً، وكان محمد بن عبد الملك الزيَّات قد عَلِقَه، وشاركَه في محبَّته الحسن بن وهب، وجرت منها قصصٌ، آخرها أنَّ محمد بن عبد الملك قال للحسن: انزل لي عن محبَّةِ شفيع، فقال له الحسن: طاعتُك فرضٌ، ولكن أنت أولى من آثر، فقال له ابن الزيات: هذه علَّةٌ نفسانيَّةٌ تُفضي بصاحِبها إلى التلف، فقال له الحسن: إذا بلغَ الأمر إلى هذا، فسمعاً للوزير وطاعة[4].

وكان المتوكِّلُ قد كتبَ على خدِّ شفيع الأيمن بالمسك[5]: [من مجزوء الكامل]

بَدرٌ على غصنٍ نَضيرٍ مسح الترائبَ بالعبيرِ[6]

وعلى عاتقه الأيسر:

(١) في اعتلال القلوب: من أمر.
(٢) اعتلال القلوب ص١٩٣-١٩٤. وما بين حاصرتين من (ب).
(٣) من هنا إلى قوله: أسند المتوكل الحديث. ليس في (ب).
(٤) العقد الفريد ٦/ ٤٠٢.
(٥) في العقد الفريد ٦/ ٤٢٦ أنَّ شفيع كتب على عاتق قبائه الأيمن بالمسك.
(٦) في العقد الفريد: شَرِقُ الترائبِ بالعبير.

خـطَّـت مـحـاسـنُ وجـهـه فـي صـفـحـةِ الـقـمـرِ الـمـنـيـر

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه:

وَزر له ابن الزيَّات أربعينَ يوماً، ثمَّ قتلَه، ثم وزرَ له محمد بن الفضل الجَرْجَرائي، ثم عبيد الله بن يحيى بن خاقان.

وحجبَه وصيف وزرافة التركيان.

وكان على القضاء في أيامه أحمدُ بن أبي دؤاد، ويحيى بن أكثم.

وكان بين المتوكِّل وبين أبي العباس السفَّاح مئة سنة وعشر سنين، وبين السفاح والعباس مئة سنة[١].

أسند المتوكل الحديث عن أبيه المعتصم، ويحيى بن أكثم القاضي، وهشام بن عمَّار الدمشقيّ لمَّا قدم دمشق في خلافته، سمع منه بدمشق ومن غيره.

وروى عنه عليُّ بن الجهم الشاعر، وروى هو أيضاً عن عليِّ بن الجهم.

انتهت سيرةُ المتوكِّل.

عبد الله بن محمد بن إسحاق

أبو عبد الرحمن الأذْرَميّ.

كان سبباً لرجوع[٢] الواثق عن القول بخلقِ القرآن.

سمع سفيانَ بن عيينة وغيره. وكان ثقة[٣].

[وفيها توفي]

سَلَمَةُ بن شَبِيب

أبو عبد الرحمن النيسابوري، ويعرف بالمِسْمَعِيّ، أحدُ الأئمَّة الرحَّالين في طلب

(١) وفاة العباس رضي الله عنه سنة اثنتين وثلاثين أو بعدها. ووفاة أبي العباس السفاح سنة ستٍّ وثلاثين ومئة.

(٢) في (خ): لخروج.

(٣) انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١١/ ٢٧١، والمنتظم ١١/ ٣٦١، وتهذيب الكمال ١٦/ ٤٢. وهذه الترجمة ليست في (ب).

[العلم و] الحديث، [سمع بالشام والعراق والحجاز ومصر.

وحكى الحاكم أبو عبد الله النيسابوريُّ عنه قال:] قال: بعت داري بنيسابور، وتجهَّزتُ إلى مكَّة لأجاورَ بها، فقلت: أصلِّي ركعتين، وأودِّع عُمَّار الدار، فصلَّيت وقلت: يا عُمَّار الدار، سلامٌ عليكم، إنِّي خارجٌ إلى مكَّة لأجاور بها، فهتفَ بي هاتف: وعليك السلام، يا أبا عبد الرحمن، ونحنُ والله خارجون منها، فقد بلغنا أنَّ الذي اشتراها يقول بخلق القرآن، ونحن لا نقيمُ في مكانٍ يقال فيه: القرآن مخلوق[١].

[واختلفوا في وفاته فقال ابن قانع:][٢] جاور سلمة بمكَّة، وماتَ في سنة سبعٍ وأربعين ومئتين في رمضان. وقيل: سنة أربعٍ، أو ستٍّ وأربعين.

سمعَ الوليد بن مسلم[٣] وغيره، وروى عنه الإمام أحمد[٤] رحمة الله عليه، وولده، وغيرهما، وأخرج عنه مسلم في «صحيحه»[٥]، وكان صدوقاً ثقةً بإجماعِهم رحمه الله تعالى.

[فصل: وفيها توفي]

الفتح بن خاقان بن عُرْطُوج

أبو محمد التركيّ، وزيرُ المتوكِّل.

كان أديباً ظريفاً جواداً شاعراً فصيحاً، وكان أبوه خاقان عظيماً عند المعتصم، و[كان] إذا مرضَ يعودُه.

[قال المعافى بن زكريا[٦]: دخل المعتصمُ يوماً على خاقان يعوده،][٧] والفتحُ صبيٌّ

---

(١) أخرجه ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة ١/ ١٦٩ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٧/ ٤٨٩ (مخطوط) من غير طريق الحاكم.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) .

(٣) في تهذيب الكمال ١١/ ٢٨٥ : الوليد بن عتبة. ولم أقف على من ذكر له رواية عن الوليد بن مسلم.

(٤) وهو من شيوخه. انظر سير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٥٦ .

(٥) من قوله: سمع الوليد ... إلى هنا ليس في (ب) .

(٦) في تاريخ دمشق ٥٧/ ٤٥٣ (طبعة مجمع اللغة) : المعافى بن زكريا، نا محمد بن أحمد بن إبراهيم الحكيمي، أنا محمد بن القاسم قال: ...

(٧) ما بين حاصرتين من (ب) . وفي (خ) : دخل عليه يوماً يعوده.

صغيرٌ لم يَثْغر[١]، فقال له المعتصم[٢] ممازحاً له: أيُّما أحسن داري أو داركم؟ فقال له الفتح: يا سيدي، دارُنا إذا كنتَ فيها أحسن، فقال المعتصم: والله لا أبرح حتى أنثر عليه مئة ألف درهم، فنثرها.

[وقال الصوليُّ: حدثنا أبو العيناء قال:] غضبَ المتوكِّل على الفتح [بن خاقان]، ثمَّ رضيَ عنه، وقال له: ارفع إليَّ حوائجَك، فقال له: يا أميرَ المؤمنين، ليس شيءٌ من عرض الدنيا وإن جلَّ، يفي برضاك [وإن قلّ]، فحشى فاه جوهراً[٣].

[قال الصولي:] كان الفتح سيِّداً [نبيلاً] جواداً ممدَّحاً.

قال البحتريُّ يمدحُه: [من الطويل]

أطلَّ بنُعمَاه فمن ذا يطاولُهْ ... وعمَّ بجدواهُ فمن ذا يُساجِلُهْ
صَفَتْ مثلَ ما تصفو المُدَام خِلاَلُهُ ... ورَقَّتْ كما رَقَّ النسيمُ شمائلُهْ
ولما حضرنا سُدَّة الإذن[٤] أُخِّرت ... رجالٌ عن البابِ الذي أنَا داخلُهْ
فأفضيتُ من قُرْبٍ إلى ذي مهابةٍ ... أقابلُ بدرَ الأُفْقِ حين أقابلُهْ
فسلَّمتُ واعتاقَتْ جنانيَ هيبةٌ ... تنازعني القولَ الذي أنا قائلُهْ
فلما تأمَّلتُ الطلاقةَ وانثنَى ... إليَّ ببشرٍ آنستني مخايلُهْ
دنوتُ فقبَّلتُ الثرى[٥] من يد امرئٍ ... جميلٍ محيَّاه سبَاطٍ أنامِلُهْ
أمنتُ[٦] به الدهرَ الذي كنتُ أتَّقِي ... ونلتُ به القدرَ الذي كنتُ آمِلُهْ

من أبيات[٧].

---

(١) في (خ) و(ب): يشعر. والمثبت من تاريخ دمشق ٥٧/ ٤٥٣ (طبعة مجمع اللغة). وقوله: لم يثَّغِر، أي: لم تنبت أسنانه بعد السقوط. انظر تاج العروس (ثغر).

(٢) من قوله: وإذا مرض يعوده ... إلى هنا ساقط من (ف).

(٣) تاريخ دمشق ٥٧/ ٤٥٣.

(٤) في (خ) و(ف): شدة الباب، والمثبت من تاريخ دمشق وديوان البحتري.

(٥) في تاريخ دمشق والديوان: الندى.

(٦) في (خ) و(ف): رميت.

(٧) من قوله: قال البحتري... إلى هنا ليس في (ب). وانظر الأبيات في ديوان البحتري ٣/ ١٦٠٨- ١٦١٠، وتاريخ دمشق ٥٧/ ٤٥٤-٤٥٥.

[وحكى القاضي التنوخيُّ أنَّ الفتحَ بن خاقان خرج][1] يوماً يتصيَّدُ، وانقطعَ عنه أصحابه وعسكره، فمرَّ على نهرٍ، فعبر على القنطرة، فانقطعتْ من تحته فغرق، ورآه فلاحٌ [وهو] لا يعرفُه، فألقى نفسه عليه وخلَّصه بعد أن كاد يتلف، ولحقَه أصحابُه، فأعطى الفلاحَ مالاً عظيماً، وتصدَّق بمثله، فقال البحتري من أبيات: [من الطويل]

لقد كان يومُ النهرِ يوم سلامةٍ[2] أطلَّت ونعماءٍ جرى بهما الدهرُ[3]
مررتَ عليه عابراً فتشاغبت[4] أواذيُّهُ لما طمَى فوقه البحرُ
وزالت أواخي الجسرِ وانهدمتْ به قواعدُه العظمى وما ظلمَ الجسرُ
تحمَّل حلماً[5] مثل قافٍ وهمَّةً كَرَضْوَى وقَدراً ليس يقدره قدرُ
فما كان ذاك الهولُ إلَّا غَيابةً بدا طالعاً من تحت ظُلَّتِها البدرُ
فإن ننسَ نعمى الله فيك فحظَّنا أضعنا وإن نشكرْ فقد وجبَ الشكرُ[6]

وقال ابن عساكر: قدم الفتحُ [بن خاقان] دمشق معادلاً للمتوكِّل على جُمَّازةٍ، ثم نزلَ بالمِزَّة، فلمَّا رحلَ المتوكِّل عن دمشق ولَّاه إيَّاها، فاستخلفَ الفتحُ بها كَلْباتكين التركيّ، وكان الفتحُ على خاتم المتوكل[7].

وكان المتوكِّلُ يقول: إنِّي أشتهي أنْ يحيى الفتحُ معي، ولا أفقده فيتنغص عيشي، ولا يفقدني، فقُتلَ معه كما ذكرنا.

وعمل[8] البحتريُّ في هذا المعنى: [من الخفيف]

سيِّدي أنت كيف أخلفتَ وعدي وتشاقلتَ عن وفاءٍ بعهدِي
لا أرتني الأيَّامُ فقدَك يا فتـ ـح ولا عرَّفتكَ ما عِشتَ فقدِي

(١) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وخرج.
(٢) في الفرج بعد الشدة ٣/ ٣٢٤، وديوان البحتري ٢/ ٨٤٦: يوم عظيمة.
(٣) في الفرج بعد الشدة والديوان: النهر.
(٤) في الفرج بعد الشدة: فتشاعبت، وفي ديوان البحتري: فتساجلت.
(٥) في (خ) و(ف): حملاً. والمثبت من الفرج بعد الشدة والديوان.
(٦) من قوله: أصحابه فأعطى...إلى آخر الأبيات ليس في (ب).
(٧) تاريخ دمشق ٥٧/ ٤٥٢.
(٨) من هنا إلى قوله: قال الصولي: ومن شعر الفتح. ليس في (ب).

حسداً[١] أن تكونَ إلفاً لغيري إذ تفرَّدْتُ في الهوى فيكَ وحدِي

فقال المتوكِّل: أحسنتَ والله يا بحتريّ، لقد جئت بما في نفسي، وأعطاه ألف دينار.

وقال عليُّ بن الجهم: أنا عند المتوكل يوماً والفتح جالس، إذ قيل له: فلانٌ النخَّاس بالباب، فأذن له، فدخل ومعه وصيفة، فقال له المتوكل: ما صناعة هذه؟ فقال: تقرأُ القرآن بألحان، فقال الفتح: اقرئي لنا خمس آيات، فاندفعت تقول: [من السريع]

قد جاء نصرُ الله والفتحُ وشقَّ عنَّا الظلمةَ الصبحُ
خَدِينُ ملْكٍ ورجا دولةٍ وهَمُّه الإشفاقُ والنصحُ
الليثُ إلَّا أنَّه ماجدٌ والغيثُ إلَّا أنَّه سَمْحُ
وكلُّ بابٍ للنَّدى مغلقٌ فإنَّما مفتاحُه الفتحُ

فوالله لقد دخل على أمير المؤمنين من السرور ما إنَّه قامَ إلى الفتح، فوقع عليه يقبِّلُه، ووثبَ الفتحُ فقبَّل رجلَه، وأمر المتوكِّل بشرائها، وأمر لها بجائزة وكسوة، وبعث بها إلى الفتح، فكانت أحظى جواريه عندَه، فلما قتل الفتح رثتهُ بهذه الأبيات: [من المنسرح]

قد قلتُ للموتِ حين نازَلَهُ والموتُ مقدامةٌ على البُهمِ
لو قد تبينت ما فعلت إذاً[٢] قَرَعْتَ سنّاً عليه من ندمِ
فاذهبْ بمن شئتَ إذْ ذهبتَ به ما بعد موت الفتح من ألمِ[٣]

ولم تزل تبكي عليه وتنوحُ حتى ماتت[٤].

[قال الصوليّ:] ومن شعر الفتح: [من الخفيف]

---

(١) في (خ) و(ف): حبذا. والمثبت من تاريخ دمشق ٥٧/ ٤٥٧.

(٢) في (خ) و(ف): لقد نبيتنا فقلت إذا. والمثبت من تاريخ دمشق ٥٧/ ٤٥٨.

(٣) في تاريخ دمشق: ما بعد فتح للموت من ألم.

(٤) تاريخ دمشق ٥٧/ ٤٥٨، ومعجم الأدباء ١٦/ ١٨٦. وهذه الأبيات نسبت لمطيع بن إياس يرثي يحيى بن زياد الحارثي. انظر تاريخ بغداد ١٦/ ١٦٣.

أيـهـا الـعـاشـقُ الـمـعـذَّبُ صـبـرا فـخـطـايـا أخـي الـهـوى مـغـفُـورهْ
زفـرةٌ فـي الـهـوى أحـطُّ لـذنـبٍ مـن غـزاةٍ وحـجَّـةٍ مـبـرورهْ[1]

وأنشد الفتحُ في الليلة التي قتل فيها: [من الطويل]

وقـد يَـقـتـلُ الـغُـتْـمـيُّ[2] مـولاه غـيـلـةً وقد ينبحُ الكلبُ الفتى وهو غافل[3]

(١) تاريخ دمشق ٥٧/ ٤٥٣ .

(٢) هو الذي لا يفصح عن شيء. مختار الصحاح (غتم).

(٣) تاريخ دمشق ٥٧/ ٤٥٩ . ومن قوله: وأنشد الفتح . . . إلى هنا ليس في (ب).

obeikandl.com